بعثت الله فاخذ بيدي فادخلني بيتا فاذا فيه قوم من المتصوفة ومعهم شيخ فقال هذا الشيخ يصلح
لك فقلت
يا شيخ من هؤلاء فقال لم يجتمع احد ولكنا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الكرسي
ليصرفوا قلوبهم الى القرآن قال ابن الصلاح ولقد احسن الواحدي ولقد احظ الواحدي لنفسه من ذكره من المفسرين
في ابداعه تفاسيرهم النوع الثالث والسبعون في فضل القرآن وفاضله اختلف الناس هل
في القرآن شيء افضل من شيء فمذهب الامام ابو الحسن الاشعري والقاضي ابو بكر الباقلاني وابن
حبان الى المنع لان الجميع كلام الله وليلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه وردوا هذا القول عن
مالك وقال يحيى بن يحيى نفضيل بعض القرآن على بعض حطه ولذلك كره مالك ان تعاد
سورة او تعد دون غيرها وقال ابن حبان في صحيحه الى من كتب ما انزل الله في التوراة والى
الانجيل مثل ام القرآن ان الله لا يعطي لقاري التوراة والانجيل من الثواب مثل ما يعطي لقاري
ام القرآن ان الله يفضل هذه الامة على غيرها من الامم واعطاها من الفضل على قراءة كلامه
اكثر مما اعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه قال وقوله اعظم سورة اراد به في الامر لا في الثواب
بعضه افضل من بعض وذهبت طوائف الى التفضيل نظرا لاحاديث منهم اسحق بن راهويه
وابو بكر بن العربي والغزالي وقال القرطبي انه الحق ونقله عن جماعة من العلماء والمتكلمين وقال
الغزالي في جواهر القرآن لعلك ان تقول قد اشرت الى تفضيل بعض آيات من القرآن
على بعض والكلام كلام الله فكيف يتفاوت بعضها بعضا فكيف يكون بعضها اشرف من بعض
فاعلم ان نور البصيرة ان كان لا يرشدك الى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات وبين
سورة الاخلاص وسورة تبت وترتاع على اعتقاد الفرق نفسك الحيرة المتفوقة
بالتقليد فقلد صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم فهو الذي انزل عليه القرآن وقال ليس قلب
القرآن وفاتحة الكتاب افضل سور القرآن وآية الكرسي سيدة آي القرآن وقل هو الله احد
تعدل ثلث القرآن والاخبار الواردة في فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات
بالفضل وكثرة الثواب في تلاوتها لا تحصى انتهى وقال ابن الحصار العجب ممن يرى الاختلاف
في ذلك مع النصوص الواردة بالتفضيل وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام كلام الله
في الله افضل من كلامه في غيره فقل هو الله احد افضل من تبت يدا ابي لهب وقال الجويني
كلام الله كله افضل من كلام الخلق ثم هل يجيء ان يقال بعض كلام الله افضل من بعض صورة ثم
تقصور نظرهم وينبغي ان تعلم ان معنى قول القائل هذا الكلام افضل من هذا الكلام ان هذا في موضعه

ولقد احظ الواحدي

كلام الله في الله

حسن ولطف وذلك في موضعه حسن ولطف وهذا الحسن في موضعه اكمل من ذلك في موضعه
فان من قال ان قل هو الله احد افضل من تبت يدا ابي لهب يجعل المقابلة بين الآيتين وذلك ابي لهب وبين
التوحيد والدعاء على الكافر وذلك غير صحيح بل ينبغي ان يقال تبت يدا ابي لهب ودعاء عليه بالخسران
اجمل توحيد عبارة لله دعاء بالخسران حسن من بنده وكذلك في قل هو الله احد التوحيد عبارة بل
على التوحيد نبه انتهى فاذا نظر الى تبت يدا ابي لهب في باب الدعاء بالخسران ونظر الى
قل هو الله احد في باب التوحيد لا يمكنه ان يقول احدهما افضل من الآخر انتهى وقال غيره اختلف
القائلون بالتفضيل فقال بعضهم الفضل راجع الى عظم الاجر ومضاعفة الثواب بحسب انقلابات
النفس وخشيتها وتبريها وتفكرها عند ورود اوصافه العلى وقيل بل يرجع الى ذات اللفظ وان
ما تضمنه قوله تعالى وان الهكم اله واحد الآية وآية الكرسي واخر سورة الحشر وسورة الاخلاص من
الدلالات على وحدانيته وصفاته ليس موجودا مثلها في تبت يدا ابي لهب وما كان مثلها فالتفضيل
انما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها وقال الكلبي والفقيه عن السبكي معنى التفضيل يرجع الى اشياء احدها
ان يكون العمل بآية اولى من العمل بآخرى والعود على الناس وعلى هذا يقال آيات الامر والنهي
والوعد والوعيد وخير من آيات القصص لانها انما ورد بها تاكيد الامر والنهي والوعد والوعيد والانذار
والتبشير والتسلي للناس عن هذه الامور وقد يستغنون عن القصص فكان ما هو اعود
عليهم وانفع لهم مما يجري مجرى الاصول خيرا لهم مما يجعل تبعا للاتباع منه ثانيها ان يقال الآيات
التي تشتمل على تمجيد اسماء الله وبيان صفاته والدلالة على عظمته افضل بمعنى ان مخبرها اسنى
واجل قدرا ثالثها ان يقال سورة خير من سورة او آية خير من آية بمعنى ان القاري يحصل له
بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل ويتادى منه ملابسها عبادة كآية الكرسي والاخلاص
والمعوذتين وان قارئها يحصل له بقراءتها الاحتراز مما يخشى والاعتصام بالله ويتادى بتلاوتها
عبارة لله ما فيها من التذكير بنعوته بالصفات العلى على سبيل الاعتقاد لها وسكون النفس
الى فضل ذلك التذكير بركته واما آيات الحكم فلا تقع بنفس تلاوتها فائدة حكم وانما تقع بها علم
ثم يوصل في الجملة ان القرآن خير من التوراة والانجيل والزبور بمعنى ان التعبد بالتلاوة والعمل
واقع به وبها والثواب يحصل بحسب قراءته لا بقراءتها وان من حيث الاعجاز بحجة النبي المبعوث بتلك
الكتب لم تكن معجزة ولا كانت حجة او تلك الاجناس بل كانت دعوتهم والحجة عليها الكاف وذلك
ايضا نظير ما مضى وقد يقال ان سورة افضل من سورة لان الله جعل قراءتها قراءة اضعافها

الفضل بقدر الخشية

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)